الفصل السادس

الحرب الباردة و الأزمة الكوبية

في أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهر طور جديد من الاستعمار غير المباشر فنتيجة لحركات التحرر الوطني المستمرة، وجد الاستعمار أن وسائله السابقة لم تعد تتمشي مع روح العصر، فأخذ يغير في جلده وشكله

ووسائله، حتى يستمر في تحقيق أهدافه، التي تتركز في استغلال ثروات الشعوب. وإذا كان الاستعمار القديم يقوم علي استخدام القوة والاحتلال العسكري المسلح وحكم الشعوب حكم مباشر، فإن الشكل الجديد للاستعمار يقوم علي التخلي عن هذه الوسائل بعد أن ثبت عدم صلاحيتها فحين يري الاستعمار أن لا مفر من إعطاء الاستقلال لدولة معينة، فإنه يعطيها الاستقلال بعد أن يكون قد عمل علي تهيئة البيئة المناسبة لحياته الجديدة، فيساعدها علي أن تتخذ شكل الدولة المستقلة بدستور وحكومة من أبنائها وجيش وطني، وعملة محلية، وعلم،ونشيد قومي،وتمثيل دبلوماسي وعضوية في الأمم المتحدة، أي يعطيها شكل الاستقلال ، ثم يعود ليسلب منها مضمونه الحقيقي بالاستمرار في التحكم واستغلال ثروتها وجهود أبنائها.

لقد ظهر بوضوح أن الاستعمار الجديد قد نجح في التحكم والتمكين لنفسه في العديد من مستعمراته السابقة، بدليل أن استغلاله لثروات الشعوب لم ينقص بعد نيل معظم دول المستعمرات استقلالها السياسي، بل العكس فقد زاد نفوذ الاستعمار واستغلاله في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وهذا يعني أن الاستعمار الجديد قد نجح إلي حداً كبير في تضليل الشعوب وفي اختيار الأساليب المناسبة لاستمراره.

أما عن أساليب هذا الاستعمار الجديد ووسائله فهي:

أولاً: في المجال السياسي:

❖ **١.** الاعتماد علي حكام يدينون بالولاء والمولاة له، حتى يستطيع عن طريقهم تنفيذ أغراضه دون أن يفطن إليه الشعب، فهو يلجأ إلي تسليم السلطة في بعض الدول لعدد من قادة الجيوش الذين يدينون له بالولاء كما حدث في باكستان.

❖ ٢ـ تفتيت الوحدة القومية عن طريق إثارة الخلافات الطائفية والنعرة القبلية، كما يحدث في العراق المحتل، أو السودان.

❖ ٣ـ إثارة المنازعات علي الحدود بين الدول حتى يشغلها النزاع بين بعضها البعض، فلا تتنبه لوجوده، وتظل في حاجه إليه، ولم ينسي الاستعمار القديم أن يزرع في كل منطقة أزمة حدودية وراءه حتى تظل عقبة بين الدول المتجاورة التي تحتاج إلي أسلحته، وتظل في صراع دام فيما بينها يمنعها من تحقيق معدلات تنمية عالية وتمثل مشكلة كشمير مثالاً جيداً لذلك.

❖ ٤ـ عزل الدول سياسياً وإبعاد بعضها عن بعض، وأدخل الشك لدي الأنظمة الحاكمة في كل دولة بتأمر الآخرين عليه من أجل أقناعة بالحاجة إليه دائماً.

في المجال العسكري:

في أعقاب الحرب العالمية الثانية عملت الدول الكبرى التي كانت تحتل أغلب البلدان الآسيوية علي تكوين أحلاف عسكرية تضم هذه الدول فعملت انجلترا علي تكوين حلف بغداد ،من دول الكومنولث الانجليزي، ومع فشلها في هذا المشروع، قامت القوتين العظميين بتأليف حلفين أساسين هما حلف الأطلنطي الذي ضم الدول الغربية، وحلف وارسو الذي ضم الدول الشيوعية، وطالبت دول العالم بتحديد موقفها إلي أي الحزبين تنتمي، فظهر إلي الوجود دول عدم الانحياز ،وخلال هذه المرحلة عمل الاستعمار الجديد علي إقامة القواعد العسكرية في الدول الحليفة له، مما يتيح له الإشراف المباشر علي الشئون العسكرية فيها.وحين يفشل الاستعمار الجديد في إيجاد الحلفاء في هذه الدول فإنه يعود مرة أخري إلي أساليب الاستعمار القديم والمباشر التي يحتل فيها هذه الدول ليأتي بنظام موالي له يضعه في السلطة، كما في العراق، وأفغانستان.

في المجال الاقتصادي:

ولعلـه المجـال الأكثـر أهميـة التـي يوجـه إليهـا الاسـتعمار والـدول الرأسـمالية أنشـطتها، بـل أن عملـه فـي المجـالات الأخـرى يخـدم فـي الأسـاس نشاطه فـي المجـال الاقتصـادي، فهـو يعمـل علـي اسـتمرار وبقـاء اقتصـاديات البلاد الناميـة والمستقلة حديثاً داخـل النطـاق الاقتصـادي الرأسمالي، وعلـي أن تبقـي هذه الـدول متخلفـة، ممـا يضـمن لـه مصـدراً للمواد الخـام الرخيصـة، كمـا يضمن بذلك سوقاً رائجة للمنتجات الصناعية المرتفعة الثمن، ولكن الاستعمار الجديد قد يسـمح لهـذه الـدول بـبعض الصـناعات الاسـتهلاكية التـي لا تضـر بمصـالحه، وبـبعض الصـناعات التـي يعتبرهـا ملوثـة للبيئـة مثـل السـيراميك والأسمنت وغيرها.

ومن أهم وسائل الاستعمار الجديد إبان هذه الفترة:

- تصـدير رؤوس الأمـوال لاسـتغلال المـوارد الطبيعيـة لهـذه الـدول عـن طريـق شـركات تحصـل علـي أربـاح فاحشـة ، ولعـل شـركات البتـرول أفضـل مثـال علـي ذلـك إذ تحصـل هـذه الشـركات علـي مـابين ٥٠و٦٥% مـن البتـرول الـذي يـتم اكتشـافه فـي هـذه البلـدان. بـل إن بعض هذه الشركات تعتبر دولة داخل الدولة.
- برامج المعونات سوء اقتصادية أو عسكرية أو فنية حيث تستخدم هذه المعونـات فـي الضـغط السياسـي علـي الـدول الصـغيرة، حتـى تسـتمر مرتبطة بخيوط الاستعمار.
- القـروض ذات الفوائـد المرتفعـة التـي يقـدمها الاسـتعمار لهـذه الـدول. ليضـغط عليهـا لتنفيذ أهدافـه ومشـروعاته التـي تضـمن مصـالحة داخـل هذه الدول.

المجال الاجتماعي:

يعمل الاستعمار الجديد علي خلق طبقة من المنتفعين بوجوده داخل الدول التي يستهدفها، حيث يتقاسم معها أرباحه التي يحصل عليها من استنزاف خيرات البلاد، وهو يدعمها ويساعدها علي أن يكون لها وضع ممتاز داخل بنيان النظام الحاكم في هذه الدول، فهو يختار عملاءه من القيادات التي تتمتع بأوضاع مادية واجتماعية وثقافية ممتازة. وهكذا كانت الحرب الباردة بين القوتين العظمتين في العالم حيث سعت كل منهم لخلق أنظمة موالية له تابعة في كل كتلة، ودار صراع مرير بينهما حول ضم أكبر قدر من الدول لمعسكراتهم وكانت الحرب الكورية والفيتنامية واحة من هذه السلسلة الطويلة في مرحلة الصراع بينهما. كما حرصت القوي الجديدة علي دعم الأقليات وتبني قضاياها والدفاع عنها للضغط علي حكومات تتكون ضد أهدافها.

لقد خلقت الحرب العالمية الثانية في القارة الآسيوية فراغاً من القوة، بعد انهيار الاستعمار القديم، وظهر ذلك واضحاً في الدول غير الشيوعية الآسيوية. فقد نزع سلاح اليابان إثر هزيمتها، وكانت الولايات المتحدة هي المؤهلة لملء هذا الفراغ لولا أن الموقف تطور إلي تهديد السلام نتيجة ما أغدقه السوفيت والصين الشعبية علي قادة حروب الثورات والعصابات سواء كانوا وطنيين أو شيوعيين، من أسلحة سوفيتية وأسلحة صينية، ولم يكن ثمة سبيل يحول دون غزو السوفيت لشرق آسيا سوي المساعدات الأمريكية والتدخل الأمريكي في المنطقة.

كان الاختبار لمحاولة الولايات المتحدة ملء هذا الفراغ الأول في كوريا، حيث حافظت قوات الأمم المتحدة علي خط فاصل بين كوريا الجنوبية وبين كوريا الشمالية الشيوعية المسلحة بأسلحة سوفيتية وصينية، وامتدت حالة الاختبار هذه إلي جنوب شرق آسيا، الذي كان تحت سيطرة اليابان التي

هزمها الوطنيون الآسيويون أيضاً، والذين داعبهم أمل الاستقلال وتمسكوا به، حتى أنه عندما حاول الأوربيون استعادة مستعمراتهم وجدوا ذلك أمراً تعتريه بالغ الصعوبة بل مستحيل، فقرروا أن يتركوها باختيارهم حتى لا يطردوا بواسطة القوي الجديدة الوطنية فأعطت هولندا الاستقلال لإندونيسيا، وضرب البريطانيون مثالاً رائعاً في مساعدة ماليزيا في برنامج تطوير عملي ساعد علي تصفية جيوب حروب العصابات الشيوعية. ولكن فرنسا والولايات المتحدة لم تتعلم من الخبرة البريطانية، فقد كانت الهند الصينية (فيتنام ـ كمبوديا ـ لاوس) كلها تحت النفوذ الفرنسي، ولم تقبل فرنسا أن تقدم للوطنيين من أبناء فيتنام أي ضمانة لمنحهم الاستقلال، فما كان منهم إلا أن ارتموا في أحضان الشيوعيين إتباع هوشي منه القائد الوطني الذي استطاع أن يحافظ علي شعبيته من خلال مواصلته محاربة الفرنسيين وانتصاره عليهم.

ولم يفت في عضد الفرنسيين ما عانوه من هذه الحرب، إذ خسروا ١٥٠٠٠٠مقاتل في الفترة من سنة ١٩٤٦إلي ١٩٥٤. حتى لحقت بهم الهزيمة في معركة دين بين فو وأظهرت هذه المعركة دي ضعف الموقف الفرنسي في فيتنام، واستتباب الأمور للشيوعية في فيتنام الشمالية بمساعدة موسكو وبكين بالسند العسكري والاقتصادي.

وقد رفض الرئيس الأمريكي ايزنهاور مساندة فرنسا، وكذلك رئيس الوزراء البريطاني تشرشيل، الذي برر اقتناعه بأنه طالما لم يحارب البريطانيون من أجل إبقاء في الهند، فلا معني لمساعدة فرنسا للبقاء في الهند الصينية.

وعموماً فقد كانت الهزيمة مكتوبة علي فرنسا التي التي كانت عنيدة ومصممه علي عدم تقديم أي ضمان لمنح الاستقلال لفيتنام بينما كان من المقرر أن تستقل فيتنام بعد الحرب، وأن تقوم فرنسا بتدعيم القوات غير الشيوعية بحيث تنتصر علي الشيوعيين الفيتناميين حيث تصبح فيتنام في

النهاية دولة حرة غير شيوعية، ولكن فرنسا لا هي انتصرت علي الشيوعيين ولا هي دعمت القوات المناوئة للشيوعية ليحققوا انتصاراً عليهم.

بيد أن فرنسا لم تهزم في الواقع في فيتنام، بل هزمت في باريس نفسها، بعد أن فقد الفرنسيون أي رغبة بعد معركة "دين بين فو" في مواصلة القتال، وبعد أن ضعفت عزيمتهم ولم تعد لديهم قدرة نفسيه علي الاستمرار هناك، ولذلك فقد رحبت الحكومة بالانسحاب من الهند الصينية، وهكذا تمت إزاحة المعسكر الغربي جزئياً من جنوب شرق آسيا ليكسب الشيوعيون سوء كانوا موالين لموسكو أو لبكين أو حتى هانوي.شجع هذا النصر الشيوعيين علي مخالفة اتفاق عام ١٩٥٤لتقسيم فيتنام.

الانقسام إلي كتلتين عالميتين متعاديتين:

عندما تراجعت القوات الألمانية إمام الضغط السوفيتي من الشرق و الضغط الأمريكي البريطاني الفرنسي من الغرب استطاعت القوات السوفيتية أن تتقدم بسرعة فائقة عبر أوربا الشرقية وتقتحم ألمانيا و كان هناك اتفاق بين الخلفاء على هزيمة ألمانيا هزيمة نهائية، و لكن كان هناك تسابق بين طرفي الحلفاء (السوفييت من جهة و أمريكا و إنجلترا من جهة أخري) للاستحواذ علي أكبر رقعة من الأراضي بصفة عامة ومن أراضي ألمانيا بصفة خاصة، كما كان الهدف الأكثر أهمية للولايات المتحدة هو الاستيلاء كل علماء الصواريخ الألمان يتقدمهم المخترع الكبير " فرنر فون براون" وكان السباق بين الأمريكان والروس علي هؤلاء العلماء سوف يحدد القوة العسكرية التكنولوجية لكل منهم في المستقبل، وكان نصيب أمريكا من هؤلاء العلماء هو الأكبر فقد تمكنوا من أسر ٧٥٢عالماًومخترعاً، وقد أكتشف الأمريكان أن لدي الألمان مشاريع علمية متطورة جداً في صناعة الوقود وفي المراحل المتعددة للصواريخ وفي طعام وملابس رواد الفضاء، وفي الطائرات الشبح والمادة المصنوعة منها

هذه الطائرات ولا يرصدها الرادار، وإنما يخترقها، وبذلك لا ترتد صورها علي شاشات المتابعة الأرضية، فقد توصل الألمان للعديد من الأسلحة المتقدمة للغاية قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية، فقد اخترعوا العديد من الأسلحة العسكرية المتطورة، فالطائرة الشبح التي تطوي جناحيها وتصبح أسرع من الصوت، وكذلك أسلحة الدمار الشامل باستخدام موجات صوتية مميتة، واستخدام الأشعة القاتلة، وهذه الأسلحة الألمانية السرية كانت قادرة علي تدمير أوربا وأمريكا إذا استخدمها الألمان ولذلك كثيراً من الاختراعات الألمانية أصبحت سرية ومحرمة تماماً، وقد استولي الروس علي عدد من العلماء الألمان وهذا هو السر في السباق الجنوني بين أمريكا وروسيا نحو برلين، ونحو قاعدة الصواريخ الألمانية في الشمال. .

وكانت الوصول إلي برلين أولاً من أهم الأهداف الاستراتيجية للحلفاء من جانب والسوفيت من جانب آخر، وكان وصول القوات السوفيتية نصراً كبيراً لها، وكانت الدول لغربية تتمنى لو استطاعت أن تكون هي فاتحة برلين وليس السوفييت، ولذلك ضغطت الدول الغربية علي السوفييت حتى وافقوا علي تقسيم ألمانيا إلى قسمين الأول(غربي) تحت سيادة الدول الغربية، وقسم (شرقي) تحت يد السوفييت، وأن تقسم برلين بين الدول الأربع اكبري (قسم شرقي للسوفييت وثلاثة أقسام أمريكية وبريطانية وفرنسية)، ومثلما حدث في أعقاب هزيمة نابليون في ١٨١٤ ١٨١٥ – فقد ظلت روسيا محتفظة بقوة عسكرية ضارية قوية ومارست نشاطا مثيرا لمخاوف الدول الغربية في أكثر من مكان. ومن أشد المخاوف التي تعمقت لدي الدول الغربية إن روسيا كانت تعتبر خطرا علي مصالح الدول الغربية عندما كانت ألمانيا النازية قوة قادرة علي رد أي تحرك توسعي روسي ، ولكن بعد سقوط ألمانيا النازية أصبحت روسيا تسيطر علي أوربا الشرقية بأسرها تقريبا (النمسا . تشيكوسلوفاكيا . المجر . بلغاريا . رومانيا . يوغوسلافيا حتى ١٩٤٧) ، فهي لم

تصبح دولة كبرى فقط وإنما دولة ذات إمبراطورية (من نوع جديد)، والأشد خطورة إن إمبراطوريتها تمتد في أوربا، وهي وأن كانت في أوربا الشرقية إلا أنها بلاد ذات قابلية للتطور والإنتاج أكثر من قابلية المستعمرات البريطانية في الشرق علي سبيل المثال، فالمستعمرات تقدم غالبا المواد الخام والأسواق، أما أوربا الشرقية فيمكن أن تصبح قوة ضارية عسكرية واقتصادية عالية المستوى فضلا عن أنها تعتبر . في حالة لسيطرة السوفيتية . نموذجا لقدرات الفكر الشيوعي علي التطوير التقدمي.

كانت مخاوف الدول الغربية من السوفيت، وأما من جانب السوفيت فقد كانوا . ولا يزالون . شديدي الحساسية إزاء أية فرصة تسنح لنمو اقتصادي أو عسكري ألماني، وقد تحققت مخاوف السوفييت عندما قررت الدول الغربية رفع المعاناة الاقتصادية عن الشعب الألماني وإعطائها الفرصة كي تستخدم كفاءة شبابها ومصادر الثروة لديها في استعادة مستوى الشعب والدولة في ألمانيا. ثم أن القطاعات الأمريكية والبريطانية والفرنسية في برلين كانت في قلب محيط شيوعي في الوقت كانت تستقبل الكثير من الفارين من نظام الحكم الشيوعي.

وردت حكومة الاتحاد السوفيتي علي ذلك بمحاولة لإخراج الدول الغربية من مناطقهم في برلين، واعتقدت القيادة السوفيتية أن المسألة لا تتعدي إغلاق منافذ التموين للقطاع الأمريكي والإنجليزي والفرنسي فيضطر هؤلاء إلى الانسحاب من برلين، وفعلا سد السوفييت المنافذ المؤدية إلي برلين.

ولكن جاء هذا الأجراء السوفيتي في وقت كانت فيه الدول الغربية قد تضامنت لمواجهة الضغوط التوسعية السوفيتية. وأقيم جسر جوي يربط قطاعات برلين (الغربية) وقطاعات ألمانيا الغربية، كل ما استطاع السوفييت أن يعملوه هو إزعاج السلطات الغربية وتوهين قدراتها الاقتصادية، إلا أن الإصرار علي الصمود أرغم الاتحاد السوفيتي علي فك الحصار المضروب

حول برلين فكان ذلك من الأمور التي اعتبرها الغرب انتصارا كبيرا علي السوفييت.

وعلي الرغم من ذلك فقد تزايد انتشار الأفكار الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية بصورة هائلة، وخرجت روسيا منتصرة حتى أنه بعد عام ١٩٤٨ امتدت حدود العالم الشيوعي غرباً حتى المنطقة الروسية من ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا، وشرقاً إلى اليابان وكوريا الشمالية، فضلاً عن انتشار الأحزاب الشيوعية في دول غرب أوربا في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا، علاوة على أن الاتحاد السوفيتي حل محل ألمانيا في بلاد شرق أوربا.

وكانت أهم نتيجة عامة للحرب العالمية الثانية هي أن هذه الحرب أنهت دور أوروبا في تمثيل دور البطل في السياسة العالمية، وخرجت دولها ممزقة مدينة مشلولة اقتصادياً، مدنها خراباً، وشبابها حاقد خاوي لا مبادئ ولا قيم يؤمن بها، فتغيرت الكثير من المفاهيم والأخلاقيات في أوروبا نتيجة هذه الحرب، وظهرت فلفات حديثة.

بل لا نبالغ إذا قلنا أن أوروبا خرجت من الحرب تابعة محتلة فكرياً واقتصادياً، وبدأت تسيطر على مقاليد الأمور فيها دول أخرى، وأصبحت للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي المكانة الأولى لرسم مقدرات السياسة الأوربية.

وكان أن نمت المخاوف بين الكتلتين الشرقية والغربية في هذا الوقت كانت آسيا وأمريكا اللاتينية تشهد تغيرات جوهرية ففي الصين نجح ماوتس تونج في الوصول إلي الشيوعي الأفكار في إزاحة كاي تشيك حليف الغرب الأوربي حيث فر تشيك إلي جزيرة فرموزة (تايوان) وبدا أن الشيوعية تحقق انتصارات متتالية في كل مكان من العالم وبدأت لصين تحقق تقدم كبير مما جعلها ذات أهمية بالغة في عمليات التوازن الدولي بين الكتلة الشرقية والكتلة

الغربية، علي العموم فقد خلقت الحرب العالمية الثانية في القارة الآسيوية حالة من الفراغ للقوة، فقد ظهر ذلك واضحاً في الدول غير الشيوعية الآسيوية فقد نزع سلاح اليابان إثر هزيمتها، وكانت الولايات المتحدة هي المؤهلة لملء الفراغ الذي تركه توري القوة اليابانية العسكرية، لولا أن الموقف تطور إلي تهديد السلام نتيجة ما أغدقه السوفيت والصين الشعبية علي الوطنيين الشيوعيين في هذه البلاد، ولم يكن ثمة ما يحول دون غزو السوفيت لشرق آسيا بعد الغياب العسكري الياباني غير المساعدات الأمريكية للحكومات الرأسمالية الموالية للولايات المتحدة الأمريكية.

الأزمة الكوبية:

تقع كوبا في البحر الكاريبي وهي أكبر جزيرة بها ٩٠ ميلاً من طرف فلوريدا وبالتالي في قلب دائرة نفوذ الولايات المتحدة، ويعود تاريخ الاستعمار في كوبا إلي بدايات القرن السادس عشر، عندما قام المستكشفون من الأسبان بغزو كوبا، وقد تم استعباد السكان الأصليين من الهنود الحمر، الذين انقرضوا خلال بضع عقود من السنين، نتيجة للإرهاق والأوبئة والمجاعات، والمذابح التي قام بها الأسبان والتي دبت بينهم، وسرعان ما استبدلت الأيدي العاملة الهندية بعدد من العبيد الأفارقة، ولأن الجزيرة كانت تفتقر إلي المعادن الدفينة بقيت طوال مائتي عام مستعمرة أسبانية متخلفة، تكمن أهميتها الأساسية في موقعها الإستراتيجي، بوصفها أكبر وأهم جزر البحر الكاريبي، ومع حلول

القرن الثامن عشر أخذت كوبا في النمو والازدهار بصورة كبيرة مع النمو الواسع في المزارع التجارية التي يطغي عليها إنتاج السكر والدخان واستخدام العبيد من الأفارقة، ونتيجة للنمو الزراعي الكبير ولأهمية كوبا بالنسبة لإسبانية فقد بقيت كوبا تحت حكم الأسبان حتى بعد أن نالت المستعمرات الإسبانية في أمريكا اللاتينية في بداية القرن التاسع عشر، وذلك لسببين:

الأول: هو موقع جزيرة كوبا نفسه حيث كان من السهل علي مدريد أن تحافظ علي سيطرتها علي تلك الجزيرة، من أن تستمر في السيطرة علي مساحات شاسعة في قارة أمريكا اللاتينية.

ثانياً: كانت كوبا أغني مستعمرة أسبانية في نصف الكرة الغربي،ومن أجل ذلك فقد بذلت أسبانية جهوداً مضنية من أجل بقاء كوبا تحت سيادتها، ولذلك فقد تأخر استقلال كوبا حتى العام ١٨٩٨ عندما انزل العلم الأسباني بعد حربين طاحنتين استمرت الأولي خلال الفترة بين العام ١٨٦٨ .١٨٧٨، والثانية ١٨٩٥ـ١٨٩٨ ورغم ذلك فقد ظل الاستقلال الكبرى بقي رمزياً. وبعد أن حققت كوبا استقلالها رسمياً عن أسبانيا عام ١٩٠١م، وحينما تحقق الاستقلال الكوبي في النهاية بالفعل كان ناتجاً إلي حد كبير عن الحرب (الأسبانية . الأمريكية)التي نشبت في عام ١٨٩٨م والتي انتصرت فيها الولايات المتحدة بالرغم من انه لا يمكن إنكار أن الكوبيين قاتلوا باستبسال، وكان هذا خلال الفترة التي طبقت فيها الولايات المتحدة سياسة العصا الغليظة، وحينما كانت تتبع الأسلوب الاستعماري ومنهجه عبارة "تغيير المصير" فقد ضمت الولايات المتحدة لسيادتها ونتيجة لهذه الحرب المستعمرات الأسبانية القديمة وهي "بورتوريكو" وجزر الفلبين.

غير أن كوبا قد نجت من هذا المصير، ولكن الاستقلال الذي حققته اثبت انه لا يختلف كثيراً عن الشكل المستتر للاستعمار، فبناءً علي انتهاء الحرب الأسبانية الأمريكية فقد تم عقد صلح سريع بين الولايات المتحدة واسبانيا في

باريس سنة ١٨٩٨ ، وفى هذا الصلح لم تصطدم الآراء إلا بصدد نقطتين اثنتين، فقد حاول ممثلو اسبانيا الإصرار على وجوب تحمل كوبا مسئولية الديون التي كانت اسبانيا قد عقدتها، على أن تخصص لسدادها عائدات الجزيرة، كما جادلوا من اجل احتفاظ اسبانيا بكل جزر الفلبين أو بجزء منها . لكن الوفد الأمريكي رفض ذلك كله . وهكذا حصلت كوبا على استقلالها من ناحية ، ولكن من ناحية أخرى استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية الحصول على جزر الفلبين بكاملها وعلى بورتوريكو أيضاً. وإذا كانت الولايات المتحدة قد ضمت بورتوريكو اليها مباشرة ، فان كوبا تمتعت بوضع خاص يشبه " نظام الحماية " فى الأسلوب الاستعماري الأوربي . فقد خضعت كوبا لحكم عسكري أمريكي طوال ثلاثة سنوات (من ١٨٩٩ – ١٩٠٢) قبل انتقال السلطة إلى حكومة مدنية جديدة بمقتضى دستور جديد. ولم يوافق الكونجرس الأمريكي على نقل السلطة الى حكومة مدنية الا بشروط تعرف باسم " تعديلات بلات " والتي أدمجت في دستور كوبا الجديد . وهذه الشروط تتلخص فى القيود التالية :

١- يمتنع على كوبا إبرام معاهدات مع دول أجنبية من شأنها المساس باستقلال كوبا ، أو السماح لأية دولة أجنبية بالسيطرة على أى جزء من الجزيرة.
٢- يمتنع على كوبا عقد قروض لا تناسب ومقدرتها الاقتصادية العادية.
٣- حق الولايات المتحدة في التدخل المباشر حماية لاستقلال كوبا . أكثر من ذلك اعترفت كوبا بحق الولايات المتحدة في التدخل لحماية أية حكومة كوبية " ترى الولايات المتحدة أنها غير قادرة على الحفاظ على حياة وممتلكات وحرية المواطنين " .

٤- حق الولايات المتحدة في إقامة قواعد عسكرية وبحرية في كوبا. ومن أهم القواعد التي إقامتها الحكومة الأمريكية قاعدة جوانتنامو التي تسيطر على خليج المكسيك .

٥- حصول الولايات المتحدة على امتيازات اقتصادية وتجارية حيوية .

أن من الواضح أن الولايات المتحدة لم تدع لنفسها حق التدخل في شئون كوبا الخارجية فحسب، ولكنها أعطت لنفسها أيضا حق التدخل السافر في شئون الجزيرة الداخلية. وقد مارست الولايات المتحدة هذا الحق في سنة ١٩٠٦ عندما ثار شعب كوبا ممثلا في حزب الأحرار ضد رئيس الدولة الموالى للولايات المتحدة والذي انتخب في سنة ١٩٠٢ تحت حماية وبمساعدة القوات الأمريكية التي كانت تحتل الجزيرة في ذلك الوقت . وقامت الولايات المتحدة باحتلال الجزيرة مرة أخرى واستمرت فترة الاحتلال لمدة عامين لمساندة حكومة مؤقتة موالية للولايات المتحدة . وفى سنة ١٩١٢ هددت الحكومة الأمريكية بالتدخل العسكري في كوبا للمرة الثالثة عندما قامت ثورة شعبية تطالب بوضع حد للسيطرة الأمريكية وإقامة نظام ديمقراطي وإجراء إصلاحات اقتصادية واجتماعية . ولم يتوقف التدخل الأمريكي المباشر إلا في سنة ١٩٣٤ عملا بسياسة " حسن الجوار " التي تبناها الرئيس فرانكلين روزفلت . والخطير في الأمر أن هذه القيود التي تضمنها " تعديلات بلات " لم تطبق على كوبا فحسب بحيث سلبتها استقلالها الفعلي وحولتها إلى شبه مستعمرة أمريكية ، ولكنها أصبحت أيضا منهجا عاما للسياسة الأمريكية في منطقة البحر الكاريبى وأمريكا الوسطى .

وبالرغم مما يبدو من معقولية هذا الإجراء في نظر المخططين البحريين الأمريكيين العسكريين في ذلك الوقت فقد أثار في المدى الطويل استياء كوبا التي أشعلت بدورها ضرام الثورة مما أدي بها في آخر الأمر إلي أن تكون أول دولة في أمريكا اللاتينية تقطع علاقاتها بالولايات المتحدة وترتبط

بالكتلة السوفيتية. أما باقي الدستور الكوبي فكان يعتمد بطبيعة الحال مثل العديد من دساتير جمهوريات أمريكا اللاتينية علي دستور الولايات المتحدة، ومن خصائصه الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وعلي الرئيس أن ينتخب نتيجة للتصويت المباشر وهناك مجلسين في تشريعيين، أما التعليم فهو حر وإجباري وهناك فصل بين الكنيسة والدولة، وكان يوجد في الحقيقة المظهر الكلي لديمقراطية أمريكا الشمالية ولكنه كان مجرد ستار شكلي.

وحتى في أمريكا الشمالية نفسها عارضت بعض الولايات دائماً روح الوثيقة التي قدمت إليها من الآباء المؤسسين، ولكن كانت هناك دائماً قوة الرأي العام القومي وقوي الحكومة الفيدرالية لكي تؤكد نوعاً من الالتزام بها، ولم يتحقق في كوبا أي من هذين الموقفين، فقد كان الرأي العام ساخطاً منزوع السلطات ولم تكن لديه معلومات كثيرة، وكان اقرب اتصال بالسلطة الفيدرالية ما قامت به الولايات المتحدة نفسها وكانت واشنطن اقل اكتراثاً بحقوق وحريات الشعب الكوبي وأكثر مراعاة لمصالح الولايات المتحدة في الجزيرة وأسرعت لاكتساب أصدقاء من بين أصحاب الأراضي المنحدرين من أصل أسباني والذين كان لهم وضع نادراً ما يتغير نتيجة لتغير السيادة.

ومن العدل القول بأن أغلب الرأي العام الأمريكي الذي ضللته معظم الصحافة الأمريكية لم يكن مدركاً تماماً لهذا الوضع وقد اعتقد أن بلاده تسعي بالفعل إلي تحرير كوبا وكان هذا الجهد واحداً من العوامل المسئولة عن التصغير الواسع المدى من شأن الأعمال التي قام بها "كاسترو" إثر حصوله علي السلطة. وفي الظروف التي أحاطت بكوبا لم يكن من المستغرب ما شعر به بعض الكوبيين الوطنيين من ميل إلي الاندماج في السياسة القومية كما أن هؤلاء الكوبيين الذين اختاروا بالفعل وظائف سياسية كانوا مدفوعين بالطموح الشخصي والأمل في الكسب أكثر من معظم السياسيين، أما من كانت لديه دوافع أكبر واسمي فإنه سرعان ما استقال أو استبعد، ويعد تاريخ كوبا منذ

الاستقلال حتى انتصار "كاسترو" سجلاً حافلاً بالفساد والتآمر والتغييرات السياسية الدائمة التي أصبح الأغنياء بسببها أكثر ثراء كما ظل الفقراء علي حالهم.

وفي خلال هذه الفترة احتل بحارة الولايات المتحدة كوبا مرتين وخضعت كوبا بين عام ١٩٠٦م و ١٩٠٨م لحكم الولايات المتحدة المباشر نتيجة لطلب المشورة الذي تقدمت به الحكومة الكوبية للولايات المتحدة، ومع أن هذه التدخلات لم يكن لها تأثير قوي علي كوبا إلا أنها كانت تميل إلي مضاعفة عدم الاستقرار السياسي فيها، وفي عام ١٩٢٥م ومع تقلد "خيرادو ماشادو" وهو من الأحرار لرئاسة الولايات الجمهورية الكوبية انتهت كافة المظاهرات بالديمقراطية. وفي عام ١٩٢٧م اصدر "ماشادو" اتفاقية دستورية جديدة تضمنت مبدأ يمنع الرئيس من تولي الرئاسة مرة أخري كما نصت علي مد الرئاسة من أربعة أعوام إلي ستة أعوام، وفي عام ١٩٢٨م أجريت الانتخابات وكانت نتيجتها عودة "ماشادو" لتقلد الرئاسة مرة أخري. وحينما أطمئن "ماشادو" إلي تمتعه بالحكم اتبع أسلوباً اقل ديكتاتورية وحينما أثر الكساد الذي أصاب "وول ستريت" في سنة ١٩٢٩م علي كوبا منع "ماشادو" الأجور عن الموظفين المدنيين ولكنه زاد في نفس الوقت من حكم القوات المسلحة التي كانت تقوم في ذلك الوقت بأعمال القمع، كما أوكل إلي أصدقائه أعمالاً ذات أجور عالية، وحين احتج عليه أعضاء المعارضة الراديكالية في عام ١٩٣٠م اتهموا بالقيام بالتخريب ونفوا من البلاد أما الطلبة في "هافانا" الذين تظاهروا بعد ذلك بوقت قصير معربين عن اعتراضهم، فقد فض البوليس مظاهرتهم بعنف، وعطل كونجرس "ماشادو" كافة الضمانات الدستورية، وأغلقت الحكومة الجامعة واعتقلت الطلاب وأعضاء هيئة التدريس.

وفي هذه المرحلة أعلنت المحكمة العليا التي أبدت اهتماماً كبيراً باستقلال السلطة القضائية، إن القوانين التي صدرت عام ١٩٢٨م تعتبر غير دستورية، وتجاهل "ماشادو" الحكم، ونشبت ثورة لم يقدر لها النجاح في عام

١٩٣١م، وأخيراً طرد "ماشادو" في عام ١٩٣٣م، ولم يكن طرده نتيجة لقوة معارضيه، وإنما لتغيير سياسة واشنطن التي أصبح فيها الآن "فرانكلين روزفلت" رئيساً للجمهورية، ولوقت ما بدأ النظام الديكتاتوري في كوبا مفتقراً إلي التأييد. ولم يتمكن "ماشادو" من البقاء بدون مساعدة الولايات المتحدة، ولهذا فقد فر هرباً إلي الولايات المتحدة. ولهذا فلم يكن سقوط "ماشادو" يعني ظهور الديمقراطية في كوبا، لان النظام لم يتغير وكانت السياسة لا تزال مرتبطة بالظروف السياسة في العاصمة "هافانا" أو بمعني اصح بمن يستحوذون علي السلطة بالعاصمة بصرف النظر عن صبغتهم السياسية، أما العمال الذين يعملون في مزارع قصب السكر ورعاة الماشية وعمال الطباق وآلاف الذين يحيون في الحياة الدنيا حتى في هافانا نفسها، فقد كانوا بعيدين عن خضم الحياة القومية في كوبا، وبدأ سياسيو الطبقة المتوسطة مرة ثانية لعبة التآمر والفساد والاتهام والرد علي الاتهام ولهذا فلم يكن من المستغرب أن ينضموا إلي ديكتاتور آخر هو "فولخنسيو باتيستا".

وكان "باتيستا" قبل ذلك ضابطاً في الجيش وقد رأس وتزعم الثورة التي كانت مسئولة إلي حد ما عن إسقاط "ماشادو" وبعد أن عين "باتيستا" نفسه جنرالاً أصبح اقوي شخصية في الجيش وبمثل هذه الطريقة لم يكن صعباً عليه أن يصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية لفترة أربعة أعوام تبدأ في عام ١٩٤٠م، وتخلي عن الحكم في عام ١٩٤٤م إذعاناً لدستور عام ١٩٠١م، ولكن لم تغفل أنظاره عن الحكم، وفي عام ١٩٥٢م أقصي رئيس الجمهورية المنتخب "كارلوس بريوسوكارس" وأعلن تنصيب نفسه بدلاً منه.

وفي الوقت الذي كان العالم الخارجي مشغولاً فيه بحرب عالمية وحرب باردة في إعقابها، كانت نظرة العالم "لباتيستا" انه ديكتاتور أجوف وحاكم متعجرف، ولم يكن اسم "باتيستا" معروفاً إلا فيما ندر لآلاف السياح الأمريكيين الذين يجوبون شواطئ الموانئ الكوبية أو يحتلون فنادقها الفاخرة. وقد أدرك "باتيستا" علي خلاف بعض معاصريه أن عبادات الشخصية لا تأتي

بنتائج طيبة لتجارة السياحة التي كانت تعتمد عليها كوبا قبل "كاسترو" إلي حد كبير، وقد بدا للعديد من رجال الأعمال الأمريكيين انه من النوع الذي يمكن التعامل معه بما يحقق فائدة مشتركة للطرفين، ولكنه كان بالنسبة للكوبيين ديكتاتور فظ وفاسد حيث نزع رجاله أظافر الناس من كثرة الضرائب والإتاوات. وخلال هذه الضغوط علي الشعب الكوبي ظهر كاسترو، فحينما استولي "باتيستا" علي الحكم في عام ١٩٤٢م كان "فيدل كاسترو" لا يزال طالباً يدرس دراسات عليا في القانون بجامعة "هافانا" وبالرغم من انه أصبح يتخذ فيما بعد شعار تحرير الطبقات العاملة فقد انحدر مثل العديد من الثوار من طبقة برجوازية. وبالرغم من أن والده بدأ حياته العملية كعامل بشركة "بوستن المتحدة للفواكه" إلا أن "فيدل" أصبح مالكاً لمزرعة سكر، وتزوج من كوبية تنتمي إلي عائلة من العائلات الأرستقراطية الزراعية في كوبا وفي الوقت الذي ولد فيه "فيدل" في عام ١٩٢٧م كانت العائلة منعمة في رخاء وتلقي احتراماً بيت الناس في "سنتياجودي كوبا" الواقعة علي الضفة الشرقية للجزيرة.

الأيام الأولي "لكاسترو":

وعلي أية حال فقد كانت هذه الدوائر مبعدة عن السياسيين المشاكسين الموجودين بالعاصمة، والذين كانوا يكنون الاحتقار لها، وفي الوقت نفسه كانوا ساخطين كمنتجين للسكر من اعتمادهم علي سوق الولايات المتحدة كما كانوا ساخطين بصفتهم كوبيين من خضوعهم السياسي للولايات المتحدة. وقد ترعرع "كاسترو" خلال ديكتاتورية "ماشادو" البغيضة، وساعدت كافة هذه العوامل بالإضافة إلي مثالية مبكرة علي صهر ابن مصانع السكر وتحويله إلي ثائر، وبدون هذه المثالية كان يمكن أن يصبح آثماً خاطئاً (وقد ذكر بعض ناقديه انه صار كذلك بالفعل).

وقد تلقي "كاسترو" تعليمه في مدارس الجيزويت بسنتياجو دي كوبا وهافانا وهي معادلة للمدرسة التحضيرية البريطانية كما تلقي التعليم المدرسي العام مع بعض التعليم التبشيري، وعلي خلاف العديد من الثوريين الذين تلقوا تعليماً دينياً ومن بينهم "خواريز" بالمكسيك لم يكن رد الفعل لديه أن يصبح من المناوئين الألداء للعقيدة بل علي النقيض من هذا اعتبر الكنيسة شيئاً لا ينفصل عنه إلا إذا بدأ تدخلها في السياسة.

وقد أصبحت السياسة موضع اهتمامه بمجرد أن دخل الجامعة وكان هذا ينطبق علي اغلب زملائه، ولكن "فيدل" كان مستعداً أن يقوم بنشاط أكثر من مجرد الحديث، وسرعان ما ألقي القبض عليه لانضمامه إلي جماعة كانت تهدف إلي تسيير حملة ضد روفائيل تروخيليو ديكتاتور جمهورية "دومينيكا" ثم أفرج عنه وواصل دراسة الماجستير ثم الدكتوراه ولكن سخطه لم يتوقف إزاء الوضع القائم في كوبا.

وفي ٢٦ يوليه عام ١٩٥٣م قاد الشاب، والذي لم يكن قد أطال لحيته بعد، ثورته غاضبة ضد حصون "باتيستا" في سانتياجو دي كوبا، وفشلت هذه الثورة وكان مقدراً لها ذلك، وكان فشلها تاماً إلي الدرجة التي قرر معها "باتيستا" إثر أزمة دينية . أن يعتبر الموضوع بأكمله لعب أطفال. ورفض تعزيب "كاسترو" أو إعدامه واكتفي باعتقاله وبالرغم من كراهية "كاسترو" "لباتيستا" وفشله أصبح تاريخ ثورة "كاسترو" الفاشلة نموذجاً يحتذيه الكوبيون في معارضتهم للديكتاتورية والفساد.

وفي عام ١٩٥٥م أفرج عن "كاسترو" بناء علي عفو عام وذهب إلي منفاه بالولايات المتحدة أولاً ثم إلي المكسيك . التي كان يرتاح إليها . ثانياً، وقابل في البلدين متآمرين ضد الحكومة منفيين كانوا يحيون بحرية في ميامي مكونين حكومات بالمنفي كما كانوا يكونون فيما بينهم وبين بعضهم فرق متنافرة من المهاجرين، وقد أدرك "كاسترو" أن هؤلاء ليسوا هم الشعب الذي

يمكن أن يوقد جذوة امة أو أن يبني كوبا الجديدة، وكانت الطريقة الوحيدة لتحقيق هذا هو القتال أما المكان الوحيد للقتال فهو كوبا.

بداية الثورة:

نزل "كاسترو" في ٢٦ ديسمبر عام ١٩٥٦م من يخت علي ساحل مقاطعة "اورينتي" وهي المقاطعة التي ولد بها وكان معه ثمانون من الشبان الذين يشاركونه آرائه، وكانوا يطلقون علي أنفسهم حركة ٢٦ يوليو تمجيداً لذكري الهجوم علي حصون سنتياجو، وقد تأخر وصولهم يومين بسبب ظروف جوية غير ملائمة وعلم "باتيستا" بنبأ تحركهم فأمر بتسيير قواته المحترفين المدربين الذين أمكنهم سحق من كانوا سيصبحون ثواراً. ولم يبقي منهم سوي اثني عشر وكان غريباً أنهم مع قلة عددهم لم يفقدوا الأمل. واحتل هؤلاء الإثني عشر الجبال وكونوا حولهم مقاتلين من رجال العصابات من كافة الطبقات ومن الجنسين، وكانوا يدربونهم مثلما كان يدرب الشباب الحزبي في يوغوسلافيا ورجال المقاومة السرية الفرنسية، وكانوا يختفون في النهار ويهاجمون بالليل، وكونوا حلقات حول قوات "باتيستا" المزودة بالأسلحة الثقيلة والتي كانت تمدهم بها الولايات المتحدة لأغراض الدفاع عن نصف الكرة الغربي كما تلقوا وعداً بأسلحة أكثر من بريطانيا ومع هذا تضاعف عدد الثوار من ١٢ إلي ٥٠٠ ثم إلي الألف، ثم إلي ثلاثة آلاف، وكان من ورائهم مؤيدون يحتلون مراكز هامة في هافانا وغيرها.

وقام الثوار لاستفزاز "باتيستا" بإحراق مزارع السكر ومحطات القوي وقطع خطوط السكك الحديدية، كما قاموا بعمليات اختطاف مثل خطف خوان فانجيو الأرجنتيني بطل سباق السيارات العالمي كما اتفقوا مع الصحفيين الأمريكيين المتحمسين لقضيتهم مثل "هيربرت ماتيوز" المحرر بالنيويورك تايمز وبهذا أمكنهم نقل قضيتهم إلي العالم وإعداد الرأي العام المؤيد لهم والمهلل لما أحرزوه من نجاح.وعلي الرغم من أنه لم يكن لهذا النشر في

الصحافة نتائج بعيدة المدى فقد أمدهم الثوار من كافة أنحاء أمريكا اللاتينية بالأسلحة المهربة ومنحوهم التأييد،

هكذا نجح كاسترو والأول مرة تنشب ثورة في كوبا يتزعمها الفلاحين والعمال العاملين في مصانع السكر والبعيدين عن الطبقة الأرستقراطية في هافانا، وكان وصول كاسترو المعروف بميوله الشيوعية كافياً لتخوف وشنطن الدائم من وصوله للسلطة، وفي ٦يناير ١٩٥٩وهو اليوم الذي سبق وصول فيدل كاسترو إلي هافانا عين الدكتور "مانويل أوروتيا" وهو محامي يتمتع بالاحترام وكان يعارض باتيستا بشجاعة حينما كان قاضياً. رئيساً مؤقتاً وشجع هذا كافة هؤلاء الذين كانوا يأملون في أن تنتهي الثورة الكوبية إلي نتيجة ديموقراطية، وسرعان ما أعترفت بريطانيا إلي جانب دول أخري بالنظام الجديد في كوبا.

وفي ١٢يناير بدأ إطلاق النار وأعدم ٧١١شخصاً من مؤيدي حكومة باتيستا بعد محاكمات عسكرية مقيدة رمياً بالرصاص ومعظمهم من ضباط البوليس والجنود وذلك بتهمة ارتكاب جرائم حرب ضد الإنسانية واستمرت أحكام الإعدام في الشهور التالية وكانت تشمل في بعض الأحيان الأبرياء الذين كان المفروض أن تحميهم الثورة، وأدي ذلك إلي إثارة شعور العداوة لدي الرأي العام في أمريكا الشمالية، بدرجة أكبر مما في كوبا نفسها، وقد ألقي معظم اللوم في ذلك علي شقيق كاسترو راؤول الذي سرعان ما وصفته صحافة الولايات المتحدة بأنه شيوعي.

وفي ١٦إبريل ١٩٥٩ قام كاسترو بزيارة لواشنطن تعبيراً عن حسن النوايا وعلي الرغم من أن كاسترو لم يستقبل استقبال رسمي كرؤساء الدول ولكنه قبل باحترام مشوب بالحذر، ورغم ذلك فقد تطورت العلاقات بين البلدين نحو الأسوأ، ففي ٢٥يوليو استبدل رئيس الجمهورية المعتدل أوروتياج بالدكتور دورتيكوس، الذي كان ينظر إليه من الكوبيين إلي أنه رجل أجوف، بينما نظر إلي هذا التغيير في الولايات علي أنه نذير ينبئ بديكتاتورية مطلقة لكاسترو،

ولاسيما بالنسبة لأولئك الذين كانوا يتهمون كاسترو بممالآت الشيوعية منذ ثورته، والواقع إن هؤلاء قد ساعدوا كثيراً عن طريق أقوالهم هذه علي ارتماء كاسترو في أحضان السوفيت، وخاصة بعد تدهور العلاقات مع واشنطن. ففي الشهور التالية حدثت في كوبا العديد من أعمال التخريب التي وقد أشارت أصابع الكوبيين إلي أن الولايات المتحدة وراء هذه الحوادث مما أدي إلي تدهور العلاقات بين البلدين تدريجيا

النزاع مع الولايات المتحدة (١٩٥٩):

بدأ النزاع بين الجانبين الأمريكي والكوبي في ٤ مارس عندما نسفت السفينة الفرنسية "لاكوبري"، وكانت مزودة بذخيرة للجيش الكوبي في ميناء هافانا، وألقى الكوبيون اللوم – في هذا الحادث على الولايات المتحدة. وفي يوم ١٠ مارس قدم مشروع إلى مجلس النواب بالولايات المتحدة لوقف شراء حصة السكر من كوبا، وكرد فعل علي ذلك فقد تدخلت الحكومة الكوبية في مخازن بضاعة التجزئة التابعة لشركة آرمور الأمريكية في يوم ٣ أبريل ، وحولتها إلى ما أطلقت عليه مخازن الشعب، وذلك بعد مرور يوم من الدعوة التي وجهتها جريدة "الثورة" الفيديلية للرئيس أيزنهاور لزيارة كوبا لكي يرى حفاوة الشعب الكوبي به، وفي يوم أول مايو عقدت كوبا ويوغوسلافيا اتفاقية ثقافية كتمهيد لعقد اتفاقية تجارية.

وفي ٢ مايو قطعت حكومة جواتيمالا المعادية للشيوعية والوثيقة الصلة بواشنطن العلاقات الدبلوماسية مع كوبا، واتهم كاسترو جواتيمالا في خطبة له بأنها تعمل كقاعدة للعدوان ضد بلاده، وفي يوم ١٨ مايو استأنفت كوبا العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي، وكانت هذه العلاقات قد قطعت عقب الانقلاب الذي قام به باستيتا عام ١٩٥٢.

و في يوم ٢٨ يونيو توقفت معونة الولايات المتحدة لكوبا، وفي يوم ١٢ يونيو أخطر كاسترو – في خطاب بالتلفزيون استغرق ١٩٠ دقيقة –حظر

كاسترو شركات شل وأسو وتكس اكو أن على كل منها أن تقبل ٣٠٠.٠٠٠ طن من النفط الروسي الرخيص وإلا سيسحب امتيازاتها، وفي يوم ١٦ يونيو استقبل كاسترو بحماس في مدينة مكسيكو سيتي وفي يوم ١٨يونيو طرد اثنين من كبار الدبلوماسيين الكوبيين من الولايات المتحدة، وفي يوم ٣٠ يونيو استولت الحكومة الكوبية على معمل تكرير "تيكس اكو" لرفضه قبول النفط الروسي وتوقفت "شل" عن إرسال شحناتها من النفط إلى كوبا، ثم استولت الحكومة الكوبية على شركتي "شل" و"أسو" في اليوم التالي، هذا بينما وجهت الولايات المتحدة بالتضامن مع منظمة الدول الأمريكية بياناً اتهمت فيه كوبا بأنها تعمل على زيادة التوتر في الكاريبي بالتجائها إلى الأكاذيب والسب.

وفي يوم ٣ يوليو رفضت شركات النفط الأمريكية الرئيسية مد الطائرات التابعة للخطوط الكوبية بالوقود، وفي يوم ٥ يوليو أوقفت الولايات المتحدة كافة الواردات من السكر الكوبي، وفي يوم ١٢ يوليو وعد خرشوف بأن يشتري الـ ٧٠٠.٠٠٠ طن من السكر الكوبي التي امتنعت الولايات المتحدة عن شراءها من السكر الكوبي – أممت كوبا شركة الكهرباء الكوبية التي كانت تملكها مؤسسة أمريكية وشركة التليفونات الكوبية وثلاثة من شركات النفط، و ٣٦ من مصانع السكر.

ثم حول كاسترو اهتمامه إلى الكنيسة بعد ذلك ولم تكن الكنيسة فقط متذمرة من التحول الذي سلكته الثورة الكوبية بسب تغلغل العناصر الأسبانية بين رجالات الدين فيها، وكانت صورة الاستعمار الأسبانية لازالت عالقة بالأذهان، وأثر هذا ضغط حلفاء كاسترو من الشيوعيين عليه لكي يتخذ إجراءات ضد الكنيسة ووجد كاسترو الفرصة سانحة أمامه إثر الخطاب الذي بعثه إليه "مانويل أرتيجا" كاردينال هافانا يستنكر فيه التغلغل الشيوعي حيث اتخذ كاسترو من ذلك ذريعة لكي يهاجم القسس الأسباني ويتهمهم بالفاشيين ويقضي بعضهم و يرسلهم إلى بلادهم.

وفي نهاية شهر أغسطس أعلن أن هناك كوبيين معاديين لكاسترو يقومون بتدريبات عسكرية سرية في معسكر قرب من ميامي. وفي هذا الوقت أعلن الأدميرال الأمريكي المسئول عن قاعدة جوانتانامو :ننا ننوي البقاء هنا : .... إن هذه الأرض مؤجرة على الدوام". وفي يوم أول سبتمبر استولى عمال المليشيا الكوبيين على مصانع المطاط الأمريكية وشركة إطارات جوديير الأمريكية وشركة مطاط فايرستون الأمريكية.

وفي اليوم التالي وكرد فعل على تصريح "سان خوسيه" الذي صدق فيه على مجموعة من المبادئ في الاجتماع الذي يعقده وزراء خارجية منظمة الدول الأمريكية في كوستاريكا عقدت السلطات الكوبية اجتماعاً ضخماً في هافانا وأصدرت تصريح هافانا الذي وضع مبادئ الثورة الكوبية، وقد قوبل بتهليل من الجماهير الكوبية ولكنه كان موجهاً في الوقع إلى باقي دول أمريكا.

وبعد ذلك بيومين وفي مواجهة الجمهور الصاخب المحتشد في ميدان "سيفيا"

مزق كاسترو اتفاقية المعونة العسكرية الثنائية المعقودة بين كوبا والولايات المتحدة، وأعلن أن كوبا قد قطعت العلاقات الدبلوماسية مع حكومة الصين الوطنية، واعترفت بالحكومة الشيوعية في بكين، ومزق أيضاً تصريح سان خوسيه وسأل جماهير الشعب فيما إذا كانت توافق على تلقي معونة من السوفيت في حالة تعرض كوبا للعدوان فكان رد هذه الجماهير: "نعم ..... نعم" .. وفي يوم ٩ سبتمبر كشف كاسترو في خطاب ألقاه بالتليفزيون الستار عن أن العصابات المعادية للحكومة تقوم بعملياتها بتأييد أجنبي من جبال إسكامبراي، وفي يوم ٩١ سبتمبر صودرت ملكية البنوك التابعة للولايات المتحدة في كوبا.

وفي أكتوبر حضر كاسترو دورة الأمم المتحدة في نيويورك، وكان خطابه الذي ألقاه بالأمم المتحدة مسهباً للغاية كعادته ولم تعلق عليه صحافة الولايات المتحدة ووكالات أنبائها كثيراً، ومع هذا فقد أحدث عرضه للقضية

تأثيراً بالغاً على المستمعين البعدين عنها، وقد انتقل خلال إقامته في فندق "تيريزا" بحي هارلم الذي يكثر به الزنوج، وكان لهذه الحركة وقعها الطيب علي الزنوج بالولايات المتحدة والطبقة العاملة – بأمريكا اللاتينية – وفي يوم ١٩أكتوبر فرضت الولايات المتحدة حظراً علي كافة التجارة المتبادلة بينها وبين كوبا.

وفي يوم ٢٥ أكتوبر وصل خوسيه ميرو كاردونا، وهو من مؤيدي كاسترو السابقين، إلى ميامي قادماً من الأرجنتين وألقى خطاباً في مجموعة من ألاجئين الكوبيين جاء فيه: "إننا ينبغي علينا أن تكون لدينا فكرة واحدة وهدف واحد الآن، وهما تخليص كوبا من كاسترو والشيوعيين" وأضاف "إن كاسترو في عام ونصف جعل كوبا أسوأ مما كانت عليه خلال سبعة أعوام في عهد باتيستا". إن كل ما كان يبتغيه كاسترو هو تحطيم كوبا بجنونه .. إن كاسترو كان مصمم على استفزاز الولايات المتحدة لكي تقوم بعدوان ثم يحمل على صدره صلباناً" ، وقد حضر نفس الاجتماع "السونيور خيوروخاس سانتا مارينا الذي كان قد استقال من منصبه كسفير لكاسترو في لندن احتجاجاً على انحياز كوبا للشيوعية وقد عرض أن يزحف على كوبا على رأس خمسة عشر ألف رجل.

وبدأ المنفيون إثر الاجتماع – في المطالبة بمعونة عسكرية من الولايات المتحدة وغيرها من الدول الأمريكية، وقد ادعوا – وهو ما ثبت خطأه فيما بعد – أنهم حينما ينزلون بكوبا لن تواجههم معارضة من جانب إخوانهم الكوبيين وإنما من القوات الروسية والتشيكية والصينية.

كينيدي يصبح رئيساً للجمهورية:

وفي شهر ديسمبر قطعت الولايات المتحدة علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا ومع هذا فلم يكن هناك من يعتقد خارج كوبا ومع هذا فلم يكن هناك من يعتقد خارج كوبا أن قطع العلاقات هذا سوف ينهي إلى عداءات فعلية، وحتى

في كوبا نفسها فقد رفعت حالة الطوارئ التي أعقبت قطع العلاقات يوم ٢١ يناير بعد أن تولى الحكم بالولايات المتحدة الرئيس كينيدي الحكم وأمام ٤٠.٠٠٠ من رجال الميليشيا – "أن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الجديد قد نوه ببدء مرحلة جديدة مع كوبا وإننا من جانبنا مستعدون للقيام بهذه البداية، إن سياستنا لن تكون سياسة سخط أو سياسة خوف كما أننا لن نقوم بأية أعمال عدوانية ضد الأمريكيين وتم تسريح الرجال وعادوا إلى أعمالهم المدنية.

ومع هذا فلم تكن السلطات الكوبية في موقف آمن تماماً، وكان مصدر التهديد الموجه إلى ثورة كاسترو ينبع من جواتيمالا فقد أنشأت الولايات المتحدة لها قاعدة جوية جواتيمالا كما أنها تدرب المرتزقة لكي تستخدمهم ضدها.

وفي يوم ٤ إبريل نشرت حكومة الولايات المتحدة كتيباً تطالب فيه كوبا بأن تتخلى عن ارتباطاتها بالشيوعية: " وإذا لم يلق هذا النداء استجابة فإننا واثقون أن الشعب الكوبي بعشقه للحرية سوف يواصل النضال من أجل كوبا الحرة وأنه سيتحول إلى الصورة الرائعة للإتحاد والتقدم بين الدول الأمريكية بروح من "خوسيه مارتي" يضع يده في يد شعوب الجمهوريات الأخرى بنصف الكرة الغربي في معركة النضال من أجل الحرية.

الغزو:

وفي يوم ١٦ إبريل ١٩٦١بدأت قوات كوبية معادية لكاسترو– من قواعدها في جواتيمالا ومسلحة بمعدات أمريكية – في النزول إلى الساحل الجنوبي لكوبا،في منطقة تعرف بخليج الخنازير، وفي اليوم التالي في الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين مساءاً بتوقيت هافانا أصدرت الحكومة الكوبية البلاغ التالي:

"إلى شعب كوبا ...

"نزلت قوات مرتزقة ومن بينها قوات المظلات يساندها الطيران و البحرية إلى شواطئ كوبا، وهي تهاجم الآن أماكن متعددة بالساحل الجنوبي لكوبا من مقاطعتي "ماتانزا" و"لاس فيلاس" وتشترك حالياً بالفعل وحدات من جيش الثورة العظيم والميليشيا الوطنية في معركة مع العدو في كافة الأماكن التي نزل بها.

"إن قواتنا تشترك في المعركة دفاعاً عن بلدنا المقدس وعن ثورتنا ضد القوات المرتزقة التي تتبناها حكومة الولايات المتحدة الاستعمارية، وأن قواتنا تتقدم بالفعل صوب العدو وهي متأكدة من انتصارها.

"إن شعب كوبا معبأ بالفعل وفاء لما أقسم به من الدفاع عن بلده.

"إلى الأمام يا شعب كوبا، لنرد بالحديد والنار على المعتدين البرابرة الذين يستهزئون بنا ويريدون بنا أن نعود إلى العبودية. إنهم نزلوا بشواطئنا ليستولوا على الأرض التي منحتها الثورة للفلاحين والتعاونيين نهم قدموا لكي يغتصبوا من أبنائنا وبناتنا الفلاحات المدارس التي فتحتها الثورة لهم في كل مكان، إنهم جاءوا لكي ينتزعوا من الزنوج رجالاً ونساء الكرامة التي أعدتها الثورة لهم، إنهم جاءوا لتخريب بلادنا، أما نحن فإننا سنناضل من أجل بلادنا."إلى الأمام يا شعب كوبا وليبقى كل منكم في عمله لكي يعمل ويقاتل. "عاشت كوبا الحرة .. الوطن أو الموت.. إننا سننتصر."وانتصر الشعب الكوبي، بالفعل علي هذه القوات رغم تفوقها التكنولوجي ودعمها المادي والعسكري من الأمريكيين.

وفي يوم ٢٠ أبريل أمكن لفيدل كاسترو أن يعلن الانتصار الشامل وأسر مئات المعتقلين ومعداتهم ذات القيمة البالغة، واستند المعتدون المناوئون للثورة إلى كافة الأسباب والمعاذير لتبرير فشلهم، ولكن كان السبب الذي برز عن غيره أن المنفيين والمخابرات الأمريكية لم يحسنا تقدير رد الفعل لدى الشعب الكوبي، وسواء كان المعتدون يتوقعون المقاومة الصامدة لزملائهم الكوبيين، وقد اعتقلت العناصر المعادية لفيدل إبان الساعات الأولى للغزو

واحتجزت في جبال إسكامبراي أما باقي الشعب فقد التف في تماسك قوي حول كاسترو.

وكان فشل الغزو بصفة خاصة وبالنسبة للعالم الخارجي بمثابة ضربة قاصمة لمكانة الولايات المتحدة، أما أمريكا اللاتينية فقد نظرت إليه – بالرغم من أن معظم دولها غير شيوعية – على أنه انتصار رائع لكاسترو. وقد دفع ذلك الغزو كاسترو إلي اللجوء إلي الاتحاد السوفيتي العدو التقليدي من أجل حمايته ونظامه من القوة الأمريكية.

حصار كوبا:

ففي يوم الاثنين الموافق ٢١ أكتوبر من العام ١٩٦٢– أعلن كنيدي في بيانه المتشائم والمؤتمر الذي أذيع على وكالات الأنباء العالمية أن المخابرات الأمريكية اكتشفت وجود صواريخ سوفيتية متوسطة المدى على الأراضي الكوبية، وذكر الرئيس كيندي أن هذه الصواريخ تشكل تهديداً عاجلاً ليس فقط على الولايات المتحدة وإنما أيضاً على دول أمريكا اللاتينية وخاصة المكسيك (بالرغم من أن المكسيك بدت أنها واحدة من الأهداف الأقل تعرضاً)، وأعلن كيندي نتيجة لهذا الحصار فرض حصار على كوبا كما أعلن أن أسطول الولايات المتحدة سوف يتوقف وينقب في أعالي البحار عن كافة السفن المتجهة رأساً إلى كوبا، وكانت ردود الفعل الأولي في الغرب عدم الموافقة وبعض الشك – إذا استثنينا الشعور بتوقع الشر الذي لا يمكن تجنبه – ولم تكن عدم الموافقة نابعة فقط عن الاعتقاد القائل بأن الحصار في أوقات السلام كان متعارضاً مع القانون الدولي وإنما أيضاً من فشل الرئيس كيندي في التشاور السابق مع حلفائه الأوربيين وفي منظمة الدول الأمريكية.

وقد دعيت منظمة الدول الأمريكية للاجتماع لكي تمنح موافقتها التامة على إجراءات الولايات المتحدة وتم لها هذا بـ١٨ صوتاً من بين العشرين صوتاً (وتغيبت كوبا عن الاجتماع بالطبع) ولهذا فيمكن أن ننهي القول أن حصار الولايات المتحدة لكوبا قوبل بموافقة جماعية من دول أمريكا اللاتينية.

أزمة الصواريخ الكوبية(أزمة خليج الخنازير):-

إذا كان التاريخ الذي بدأت فيه الحرب الباردة هو موضع جدل بين المؤرخين فليس ثمة نقاش حول التاريخ الذي اقتربت فيه هذه الحرب لأن تتحول إلى حرب ساخنة. ذلك كان في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٦٢ وهو التاريخ الذي كشف فيه عن وجود الصواريخ السوفيتية في كوبا والأيام الستة التي تلته لحين إعلان خرشوف قراره بسحبها.

في ذلك اليوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٦٢ قال الرئيس الأمريكي في إذاعة تلفزيونية(إنه خلال الأسبوع الماضي فإن شهادة لا تخطأ قاد أظهرت حقيقة أن سلسلة من مواقع الصواريخ يجري الإعداد لها في هذه الجزيرة... وتشير مواصفات هذه الصواريخ الجديدة إلى أنها صواريخ نووية متوسطة المدى قادرة على حمل رؤوس ذرية لمسافة أبعد من آلف ميل قادرة علي ضرب واشنطن وقناة بنما ومدينة المكسيك أو آي مدن أخرى في الجنوب الشرقي للولايات المتحدة وأمريكا الوسطي ومنطقة الكاريبي، كما أن هناك مواقع إضافية لم تستكمل بعد تبدو أنها تعد لصواريخ قادرة على الانطلاق أبعد من ذلك مرتين وتقدر بهذا الشكل على ضرب معظم مدن نصف الكرة الغربي في مدى يصل إلى كندا وإلى بيرو.

إن هذا التحول السريع لكوبا إلى قاعدة إستراتيجية هامة بوجود هذه الأسلحة ذات المدى البعيد وذات الطبيعة الهجومية الواضحة والدمار المفاجئ الشامل إنما يشكل تهديدا حربيا للسلام والأمن لكل الأمريكيين وتحديا لتقاليد هذه الأمة وهذه القارة ولميثاق الأمم لمتحدة والتحذيرات العامة من جانبنا

للسوفيت كما أن هذا العمل يتناقض مع التأكيدات المتكررة للمتحدثين السوفيت العلنية والخاصة من أن البناء العسكري في كوبا سوف يبقى ذا طبيعة دفاعية وأن الاتحاد السوفيتي ليس له حاجة أو رغبة لإقامة صواريخ إستراتيجية علي أرض أي دولة أخرى)

وقد حدد كنيدي أبعاد العمل السوفيتي بالنسبة للولايات المتحدة فيقول(... إن هذا البناء السري والسريع وغير العادي للصواريخ السوفيتية في منطقة معروفة تماما بأن لها علاقة تاريخية بالولايات المتحدة وأمم نصف الكرة الغربي، هذا القرار السري لإقامة أسلحة إستراتيجية للمرة الأولى خارج أراضي الاتحاد السوفيتي وهو استفزاز متعمد وتغيير لا مبرر له في الوضع الراهن والذي لا يمكن أن يكون مقبولا لهذا البلد إذا كنا نريد لالتزاماتنا أن يوثق بها من صديق أو عدو..)

ثم عدد كنيدي **الإجراءات التي قرر اتخاذها كإجراءات أولية وحتى لا تخاطر بشكل غير ناجح أو غير ضروري بحرب نووية عالمية فيما يلي:-**

- ❖ **أولا:** وقف هذا البناء الهجومي فإن حصارا حازما قد بدأ على كل المعدات الهجومية التي تشحن إلى كوبا وسوف تحول كل البواخر المتجهة إلى كوبا من أي جنسية أو ميناء إذا ما وجدت أنها تحتوي على شحنات من الأسلحة الهجومية وسوف يمتد هذا الحصار إذا ما تطلب الأمر لأشكال أخرى من الشحنات ،ونحن لا نعني ضرورات الحياة كما حاول السوفيت أن يفعلوا في حصار برلين عام ١٩٤٨ ٠
- ❖ **ثانيا:** الاستطلاع المستمر والدقيق على كوبا ووقف بنائها العسكري، فإذا ما استمرت هذه الاستعدادات العسكرية فإن عملا آخر سيكون له ما يبرره.
- ❖ **ثالثا:** سيكون من سياسة الولايات المتحدة أن تعتبر أن أي صاروخ نووي موجه من كوبا إلى أي أمة في نصف الكرة الغربي كهجوم من

الاتحاد السوفيتي على الولايات المتحدة يتطلب الرد الرادع الكامل على الاتحاد السوفيتي.

- ❖ **رابعا:** كاحتياطي عسكري ضروري فقد دعيت قاعدة جوانتانامو أن تكون على أهبة الاستعداد وأجلينا أسر أفرادنا هناك ووضعت وحدات إضافية على أهبة الاستعداد.
- ❖ **خامسا** : دعوة الهيئة الاستثمارية لمنظمة الوحدة الأمريكية إلى اجتماع عاجل الليلة للنظر في هذا التهديد لآمن نصف الكرة الغربي ،إن ميثاق الأمم المتحدة يقرر ترتيبات الأمن الإقليمية وقد وقفت أمم هذه القارة منذ وقت طويل ضد الوجود العسكري للقوى الخارجية ، كما أن حلفاءنا الآخرين في العالم قد وضعوا موضع التأهب.
- ❖ **سادسا** : الدعوة إلى اجتماع طارئ لمجلس الأمن لاتخاذ إجراءات ضد هذا التهديد السوفيتي لسلام العالم وسوف يدعو القرار الذي ستقدمه الولايات المتحدة إلى إزالة جميع الأسلحة الهجومية في كوبا تحت إشراف الأمم المتحدة قبل أن يمكن رفع الحصار.

وقد أنهى الرئيس الأمريكي بيانه بدعوة الزعيم السوفيتي(أن ينضم إلى جهد عالمي لإنهاء سباق التسلح الخطير وتحويل تاريخ العالم، كما عبر عن استعداد الولايات المتحدة((لمناقشة اقتراحات جديدة لإزالة التوترات على كلا الجانبين...))

وعلي الجانب السوفيتي فقد أعلنت وكالة ناس أن الحكومة السوفيتية استدعت كل من في أجازات في القوات المسلحة وأوقفت تسريح من أدي الخدمة في مجالات الصواريخ والغواصات والوحدات المضادة للطائرات وذلك عقب اجتماع حضره وزير الدفاع الماريشال ماليونفسكي كما أعلن أن قيادة أركان قوات حلف وارسو قد تشاورت لوضع إجراءات لرفع حالة التأهب العسكري لدول حلف وارسو.

وفـي نفس الوقـت أذاعـت الحكومـة السـوفيتية بيانـا يـدين الحصـار الانتقامي علـى كوبـا كعمل مـن أعمـال القرصنة وخـرق للقـانون الـدولي واتـهم الولايات المتحدة باتخاذ خطوة نحو إشعال حرب عالمية نووية.

علينـا فـي البدايـة معرفـة الـدوافع السـوفيتية مـن أجل إثـارة هـذه الأزمـة والعوامل التـي دفعتهم إلـي أقامت مثل هذه الصـواريخ فـي كوبـا، ولمـاذا سـحب خروشيف هذه الصواريخ ؟

بالنسبة للسؤال الأول فإنـه بالإضـافة إلـي التفسير الـذي تقدمـه الوثـائق والبيانات السوفيتية خلال الأزمة مع إصرارها علي إنكار وصف هذه الأسلحة الموجودة بأنها هجومية أو استراتيجية وأن الهدف من أقامتها هو حماية كوبا وأن ذلـك تـم بنـاء علـي طلـب حكومـة كوبـا وساسـتها وكـرد علـي التهديـدات الأمريكية لها.

ويمكن تحديد العوامل التـي دفعت السوفيت إلي هذا الموقف في:

أولاً: لاشك فـي أن السـوفيت كـان دافعهم الأساسـي فـي ذلـك هـو الحفـاظ علـي وجودهم فـي أمريكـا اللاتينيـة كلهـا فقد كـان معنـي هزيمتهم فـي كوبـا هـو تخلـي دول أمريكـا اللاتينيـة عن الماركسية، وبالتـالي رفض هذه الـدول أي تعـاون مـع السوفيت، وسـوف تظـل تـردد أن الاتحـاد السوفيتي مـع كل قوتـه لـم يفعـل شـئ مـن أجل كوبـا، فكـان علـيهم أن يبحثـوا عـن رادعـاً ملموسـاً وفعـالاً فـي مواجهـة التدخل الأمريكي في الكاريبي، فكانت فكرة أقامت الصواريخ.

ثانيـاً: أراد السـوفيت أيضـاً مـن وراء أقامـت هـذه الصـواريخ فـي كوبـا اسـتعادة توازن القوي في مجال السلاح النووي، فوجود السلاح النووي الروسي علي بعد أميال من أمريكا ذاتها، تزيد الثقة في التهديدات النووية السوفيتية وتساعد علي المساومة مع الولايات المتحدة في مناطق أخري من العالم.

ثالثاً:استخدام هذا الإجراء كورقة للمساومة عليها فـي تسوية الوضـع فـي برلين أو انسـحاب القواعـد الأمريكيـة وراء البحـار وخاصـة فـي تركيـة، وقد ظهـر ذلك

واضحاً في طلب خروتشوف إزالة الصواريخ الأمريكية في تركيا، مقابل إزالة الصواريخ في كوبا.

رابعاً:أن القيادة السوفيتية كانت تعتقد أن الأمريكان لن يقبلوا التضحية بدخول حرب نووية بسهولة، وأنهم سيقارنون بين صواريخ وقواعد كوبا وصواريخ أمريكا المجاورة للاتحاد السوفيتي، وعلي هذا فسوف تبدو أمريكا ضعيفة أمام العالم وغير قادرة علي التصرف مما سيشكك حلفاءها في العالم في اعتمادهم عليها ويدفعهم إلي الاتفاق مع الاتحاد السوفيتي.

خامساً: محاولة تعويض فجوة الصواريخ العابرة للقارات التي تمتلكها الولايات المتحدة، حيث أن أقامة قواعد لمثل هذه الصواريخ مكلف جداً، أم تزويد كوبا بصواريخ متوسطة المدى فإنه يمثل وسيلة سريعة وغير مكلفة لتعويض هذه الفجوة السوفيتية.كل هذه العوامل جعلت الرئيس السوفيتي خروتشوف يتخذ قراره ببناء هذه الصواريخ في كوبا.

وقد دارت مراسلات ومفاوضات مباشرة وسرية بين رئيسا الدولتين حول سبل حل هذه الأزمة، وقد طلب خروشوف من كنيدي إزالة الصواريخ الأمريكية في تركيا في مقابل إزالة الصواريخ السوفيتية في كوبا. وربما يبدو هذا الاقتراح السوفيتي في الواقع معقولاً ومنصفاً بالنسبة لأي مراقب ومحايد، غير أن رد فعله كان علي عكس هذا تماماً في الولايات المتحدة، فقد نظر إلي الاستجابة إليه علي أنه يعني بدء الدخول في مساومات مع السوفيت علي مواقع الولايات المتحدة العالمية،وبدا أكثر من ذلك علي أنه هدم للثقة في الولايات المتحدة من جانب حلفائها ومن يعتمدون عليها في الدفاع عنهم وعلي هذا لم يكن هذا الاقتراح مقبولاً من جانب الولايات المتحدة لا لقيمة القواعد التركية العسكرية أو الإستراتيجية وإنما للمغزى السياسي لسحبها.غير أن كنيدي أكد لخرتشوف أنه إذا ما سحبت هذه الصواريخ فسوف نزيل إجراءات الحصار علي كوبا، كما وعد بعدم غزو كوبا أو توجيه أي عدوان أمريكا ضدها.

غير أنـه وعبر هذه المراسـلات تغير الموقف السوفيتي تدريجياً ففـي ٢٨أكتوبر ١٩٦٢بدأت بوادر انفراج الأزمة
الكوبية في الأفق وتنفس العالم الصعداء بعد أن حبس أنفاسه من جراء حدوث حرب نووية وشيكة ففي خطابه الذي إذاعة راديو موسكو موجهاً من خرشوف إلي كنيدي والذي صيغ بشكل ودي للغاية ".....دعنى أعبر لك عن ابتهاجي وشكري علي الإحساس بالتناسب الذي أظهرته وبتقديرك للمسئولية التي تتحملها في حماية السلام..." ثم أعلن خروتشوف " أن الحكومة السوفيتية قد أصدرت تعليماتها بوقف العمل في مواقع الصواريخ بل وإزالتها وإعادتها إلي الاتحاد السوفيتي ".

والسؤال الآن لماذا غير السوفيت موقفهم وقاموا بإزالة هذه الصواريخ من كوباً، ***هناك العديد من العوامل والتفسيرات لتغير موقف السوفيت يمكن توضيحها في:***

أولاً:أعتقد العديد من القادة السوفيت أنهم قد حققوا نجاحاً مرموقاً بضمان وجود كوبا الاشتراكية وبدون أية حاجة لإطلاق طلقة واحدة، بعد أن أعلنت الولايات المتحدة من أنها لن تهاجم كوبا وأنها سوف تكبح حلفائها عن ذلك.

ثانياً:أنه في الوقت الذي كان من الواضح فيه أن القادة السوفيت يأملون في مواجهة الولايات المتحدة بالأمر الواقع في كوبا، فإن الأمر قد تحول إذ أن وضع الصواريخ السوفيتية لم يكن قد أكتمل حين أقام كنيدي الحصار، وطلب سحب الأسلحة السوفيتية الإستراتيجية، وهذا يعني أن الولايات المتحدة قد أصبح لديها حرية أكبر في الاختيار والعمل أكثر مما لدي السوفيت أنفسهم.

ثالثاً: نجاح الولايات المتحدة في ضمان تأييد سريع وإجماعي لإجراء الحظر من دول منطقة أمريكا اللاتينية.

رابعاً: وأخيرا كان هناك عنصر السرعة والحسم والتصميم الواضح الذي عالجت به الولايات المتحدة الأزمة ولم يبد هذا فحسب في التطبيق السريع والناجح لقرار الحصار أو الضمان السريع لتعاون منظمة الوحدة الأمريكية

وتأييد الناتو، وإنما فوق كل ذلك للبناء العسكري الأمريكي وإجراءات التأهب التي اتخذتها القوات الإستراتيجية الأمريكية حول العالم، ويبدو أن هذه الاعتبارات كلها كانت وراء ما أعلنه خروتشوف في خطابه أمام مجلس السوفيت الأعلى في ١٢ ديسمبر ١٩٦٢أنه اضطر إلي سحب القوات بعد أن تلقي معلومات تفيد أن الهجوم الأمريكي وشيك.

وبذلك تمثل أزمة الصواريخ الكوبية والأسلوب الذي عالجتها به القوتان نموذجاً بارزاً علي التباين بين السلوك العلني وبين السلوك الفعلي وهو الأمر الذي كان بالفعل علي قوتين مثلهما بما يمكن أن تعنيه قراراتهما أن تراعياه، فالبيانات الأمريكية العامة خلال الأزمة كانت مليئة بالتصميم إلا أن العمل الأمريكي المحدد خلال لحظات حاسمة من الأزمة قد ترك ثغرات للاتحاد السوفيتي لكي يتصرف بشكل يحفظ له كرامته، ويتيح له رغم التصميم الظاهر مسالك مفتوحة لكي يتراجع منها، كما ظلت الإجراءات الأمريكية مع شدتها محدودة لا تدفع بالخصم إلي موقف يائس وأن كانت تقنعه بعمق الهوة التي يمكن أن يندفع إليها الجانبان إذا استمر التحدي إلي مداه النهائي.علي العموم فقد كانت أزمة الصواريخ الكوبية منذ بدايتها علي مستويين مستوي المناقشة العلنية ومستوي المفاوضات علي أعلي مستوي وكانت تمثل بالفعل حواراً نووياً لا يعرف لغته إلا رئيسا القوتين.

وفي عام ١٩٦٤ سقط خروتشوف من الحكم في الاتحاد السوفيتي وحل محله كسكرتير للحزب الشيوعي ليونيد برجنيف وذلك لأن خروتشوف لم يستعد لسلطته بعد النكسة الكوبية الأمر الذي أغضب الطبقة الحاكمة في الحزب .

وكانت أولوية سياسة برجنيف تحقيق طموح خروتشوف في تحقيق المساواة مع الولايات المتحدة في الصواريخ ذاتية الانطلاق وعابرة القارات وقد

أدى ذلك إلى زيادة التوتر الدولي خصوصا عقب التدخل الأمريكي الجوي والبري في فيتنام في عام ١٩٦٥.

هكذا فمنذ أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ حاول المعسكرين الشرقي والغربي تحسين علاقتهما خصوصا وقد أقدمت فرنسا على اتخاذ خطوات جريئة لتحسين علاقتها مع الاتحاد السوفيتي كما حرصت ألمانيا الغربية على (الانفتاح على الشرق) وارتبطت هذه السياسة باسم المستشار الألماني ويلي برانت وقد رحب الاتحاد السوفيتي بهذا الاتجاه الجديد رغم وجود عقبات كانت تقف في وجه الوفاق ويحتمل أن تزيد من الحرب الباردة مثل استمرار الولايات المتحدة في خوض معركة فيتنام وقيام الاتحاد السوفيتي بغزو تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٦٨ .

وعلي الرغم من أنه في عام ١٩٦٨ تولى ريتشارد نيكسون رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية وكان معروفا بعدائه الشديد للشيوعية وعدم ثقته في الاتحاد السوفيتي إلا إنه هو الذي فتح أفاق الوفاق فزار موسكو وتفاوض مع الزعماء السوفيت ووقع على عدد من الاتفاقيات التي وضعت حلولا سياسية للعديد من القضايا المعلقة بين الشرق والغرب منذ الحرب العالمية الثانية وكانت هناك مستجدات دولية ساعدت في تعزيز التوجه نحو الوفاق :

١- التغييرات الداخلية في الاتحاد السوفيتي منذ وفاة ستالين .

٢ – تزايد مخاطر الحرب النووية عبر القارات بتزايد كميات الأسلحة نووية.

٣ – ازدياد نفقات التسليح وظهور الحاجة للحد من هذا الإنفاق العسكري وتوجيه نحو سد الحاجات المعيشية والاقتصادية.

٤ – حاجة الاتحاد السوفيتي للحصول على تقنية الغرب .

٥ – إدراك الولايات المتحدة لفشل سياسة المواجهة مع الاتحاد السوفيتي .

٦ – بروز الصين كدولة مؤثرة ورغبة الاتحاد السوفيتي في وقف التقارب الأمريكي الصيني .

٧ – إدراك الغرب عموما والولايات المتحدة خصوصا بأن الوقت قد حان للاعتراف بالاتحاد السوفيتي كدولة عظمى لها مصالحها ونفوذها في العالم ومن ثم شهد عقد السبعينيات مرحلة وفاق تتسم بتخفيف حدة المواجهة العسكرية والتفكير في عقد اتفاقية للحد من الأسلحة النووية وعقد مفاوضات للوصول إلى اتفاق .

والواقع أنه أمام الشر المستطير الذي تحمله الأسلحة النووية إذا استخدمت ظهرت فلسفة التعايش السلمي كضرورة بقائية بين الخصمين لأن ميزان الرعب النووي جعل الحرب النووية مستحيلة دون دمار الطرفين. ومن أحسن مظاهر التقارب بين العملاقين معاهدة الحظر الجزئي لإجراء التجارب النووية، وكذلك منع انتشارها، ومحادثات نزع السلاح وتم في ٢٥ يوليو ١٩٦٣ توقيع اتفاقية تحظر إجراء التجارب النووية في الماء والجو والفضاء وعلي الأرض. وانضمت أكثر من مئة دولة إلى هذه المعاهدة . وقد رفضت دولتان هما فرنسا والصين الانضمام إليها. وأدت هذه الاتفاقية إلى تعقيد مسألة اختبار وتجريب القنابل النووية أمام الدول التي ستدخل النادي الذري مستقبلا حيث لم يبق أمامها إلا باطن الأرض تجرب فيه ، وهذه مسألة صعبة جدا عليها ، أو تكتفي بصنع المتفجرات ولا تجربها ، وهذه أيضا مسألة خطرة جدا .

كما اتفق العملاقان في ١٧ أكتوبر ١٩٦٣ على عدم إرسال أسلحة نووية إلى الفضاء الخارجي أو الأجرام السماوية.

وتم في يوليو ١٩٦٨ توقيع معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية فقد تعهدت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد السوفييتي بعدم مساعدة الدول الأخرى غير الذرية من الناحية الفنية لإنتاج الأسلحة النووية، أو وسائل نقلها وكذلك تتعهد بعدم تقديم هذه الأسلحة لها. وقد وقع على هذه الاتفاقية حوالي مئة دولة . وأدى التقارب بين العملاقين إلى حدوث تفكك في الكتلتين . فقد عارضت الصين الاتحاد السوفيتي في سياسته الرجعية، ونادت بمنتهى

الشيوعية ونشرها بالعنف وسحق الرأسمالية. بينما شذت فرنسا عن الكتلة الغربية لأنها تنادي بضرورة تخلص أوربا من السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية.

وأبرز مثال على ذلك اتفاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على استئناف الحوار حول مشكلة برلين، توصل الطرفان إلى صيغة نهائية لحل هذه المشكلة وتم التوقيع على هذه الوثيقة في عام ١٩٧٢ كما عقد مؤتمر في هلسنكي للحوار الأوروبي فمؤتمر وزراء الخارجية في عام ١٩٧٣ والثاني عام ١٩٧٥ على مستوى الرؤساء وحضرته ثلاث وثلاثين دولة وأصدر ما يعرف بوثيقة هلسنكي تضمنت الأسس العامة التي تحكم العلاقات بين الشرق والغرب وأهمها :-

١ – عدم استخدام القوة أو التهديد باستخدامها والتعهد بحل المنازعات سلميا.

٢ – عدم انتهاك الحدود الإقليمية في أوربا أو التعديل منها.

٣ – عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول واحترام سيادة كل دولة .

٤ – وجوب احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية.

٥ – زيادة التعاون الاقتصادي والعلمي والفني بين الشرق وغرب.

٦ – تخفيض حجم القوات المسلحة المتواجدة في أوربا .

ويمكن القول أن وثيقة هلسنكي تمثل الانتهاء الفعلي للحرب الباردة والبدء عمليا في مرحلة الوفاق الدولي فقد كان إقرار هذه الوثيقة يعني اعتراف الغرب الرسمي بشرعية سيطرة الاتحاد السوفيتي على أوربا الشرقية. ولم تكن وثيقة هلسنكي هي الإنجاز الوحيد على طريق الوفاق ففي عام ١٩٧٥ أيضا عقد في فيينا مؤتمر بين الشرق والغرب تم التوصل فيه إلى اتفاق على خفض حجم القوة العسكرية لحلف الأطلنطي وحلف وارسو في أوربا. وشهدت السبعينيات أيضا لقاءات قمة متوالية بين زعماء الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، كان أبرزها قمة موسكو عام ١٩٧٢ وقمة واشنطن ١٩٧٣ وقمة موسكو عام ١٩٧٤ وقمة فلاديفوستوك عام ١٩٧٤ .

وفي عام ١٩٧٩ وقعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على معاهدة الحد من إنتاج الأسلحة النووية وهي المعاهدة المعروفة باسم (سولت ١)التي تضع قيود على إنتاج الصواريخ العابرة للقارات وقد وقع على هذه الاتفاقية الرئيس الأمريكي كارتر والرئيس السوفيتي برجنيف.